



المصلوب والعالم

عندما جاء المسيح إلى العالم متجسداً، ماذا كان موقف العالم منه وكيف استقبله؟ لقد أظهر الجهل والعداوة نحوه، فنقرأ أنه «كان في العالم، وكُنَّ العالَمُ به، ولم يعرفه العالَمُ» (يوحنا 1: 10). لقد تحرك وسط الناس، و«جاء يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس». عاش يتعب ويخدم ويظهر الحنان، يمسح الدموع ويخفف الآلام والأحزان، يعلم ويكرز ويشفي ويطعم. ومع ذلك فقد جال في الأرض مهاناً مستهدفاً للعداء. والسؤال: لماذا؟ الجواب: لأن حياته القدوسة كشفت شر العالم وفساده. وليس فقط العالم لم يعرفه، لكنه أبغضه، لأنه كان يشهد عليه أن أعماله شريفة (يوحنا 7: 7). ظل العالم يرفض المسيح ويبغضه حتى بلغت العداوة ذروتها عند المصلوب، حيث تكلم العالم كله بزعماء الشيطان؛ رئيس هذا العالم، وثار ضد ابن الله. وكانت العداوة صارخة حتى الموت، فقتلوه مع لقين إياه على خشبة. وبالْحَقِيقَةُ اجتمع على مسيح الله القدوس، الوديع الرقيق، هيرودس وبيلاطس مع أمم وشعوب إسرائيل، واتفقوا جميعاً على صلبه. وعقوبة الصلب تتضمن كل معاني التشهير والتعيير والكرهية والمهانة والقسوة والنجاسة والملعنة فإن «المعلق ملعون من الله» (تثنية 21: 23). وكانت عقوبة الصلب تُطبق على القتلة والثوار والمتمردين الذين اقتربوا أبشع الجرائم. ونحن لا نندهش أن يحدث هذا مع المصلبين للذين صلبوا معه، أما أن يحدث هذا مع المسيح الذي لم يفعل شيئاً ليس في محله، فهذا هو كل العجب! لقد كتب بيلاطس على التهمة التي وجهت إليه، ووضعها فوق المصلوب وكانت هكذا: «يسوع الناصري ملك اليهود». وكانت مكتوبة بالعبرانية (لغة الدين)، واليونانية (لغة الفلسفة)، والملايينية (لغة الدولة والسياسة). وكان العالم كله قد اشترك في جريمة صلب ابن الله.

حديثه الأخير للجموع قبيل المصلوب: «الآن دينونة هذا العالم» (يوحنا 12: 31). فلقد أظهر المصلوب وكشف بكل وضوح حقيقة هذا العالم من حيث الخيانة والغدر، والجفاء والمهجر، والظلم والقهر، كما أظهر الجمود والجحود نحوه من أظهر رقة القلب الودود. يدل محبته خالصه، ووضعوا عليه شراً بدلاً خير وبغضاً بدلاً حبه. ولم يحدث أن ظهر العالم بوجهه القبيح مثلما ظهر عند المصلوب. فالصلب قد فضح شر العالم بكل فئاته: العظماء والأدنياء، رجال الدين ورجال السياسة، اليهود والأمم، العسكر والمدنيين.

لقد حوكم رب المجد أمام رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب الذين كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع حتى يقتلوه، وأخيراً أوثقوه ومضوا به إلى بيلاطس (متى 27: 1)، وقالوا: هذا الإنسان يفسد الأمة، ويهيج الشعب، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر، ويقول عن نفسه إنه ملك. وفي المحاكمة صرخوا قائلين: اصلبه اصلبه!! وأمام الاختيار: يسوع أم باراباس؟ كان الجميع يصرخون: ليس هذا بل باراباس، وكان باراباس لاصلاً! وأخيراً قالوا لبيلاطس: ليس لنا ملك إلا قيصر!

أما بيلاطس: ذلك الحاكم الروماني، مع أنه كان مقتنعاً تماماً أنهم أسلموه حسداً، وقد فحصه ولم يجد فيه علة واحدة، ولم يفعل شيئاً يستحق الموت، هكذا صرح وأعلن عدة مرات، فقد حكم عليه بالجلد، ثم بالصلب، وبعد كل هذا غسل يديه وقال: «إني بريء من دم هذا البار!» وهكذا نرى أنه في موضع العدل كان هناك الظلم الصارخ، وإن كان بيلاطس يعتبر نفسه بريئاً، فمن يكون المذنب؟

هذا ما فعله العالم في المسيح. لقد أظهروا كل شر وكل حقد وكل عنف للذي أظهر كل لطف وكل عطف وكل حب وكل رفق. والسؤال الآن: هل تغير موقف العالم من المسيحية؟ هل شعر بالندم؟ هل قبل المسيح بالحب والوفاء رباً ومخلصاً؟ بالأسف كلا. إنه بذات المشاعر العدائية الراضية إلى يومنا هذا والتي تعكس العداوة لله. والمؤمن الذي ارتبط بالمسيح يدرك أنه يتبع مسيحاً مرفوضاً من العالم، وأن هذه المتبعة ستكلفه حمل العار والاحتقار لأجل خاطر سيده.

يقول الرسول بولس: «أما من جهتي فحاشا لي أن أفخر إلا بصلب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم» (غلاطية 6: 14). فالمسيحي الحقيقي يرى العالم من خلال المصلب، ويعرف ماذا فعل في المسيح. إنه يرى عظمة العالم وغناؤه ومجده ومباهجه وامتيازاته كلها قد فقدت بريقتها وما عادت تجذبه أو تحركه، ولن يعود يبحث عنها أو يلهث وراءها أو يعجب وينبهر بها. وكيف يصبح العالم غرضاً له ومكاناً لراحته وسعادته بعد أن ظهرت حقيقته في المصلب؟

إن محبة العالم هي عداوة لله، ببساطة لأن العالم صلب ابن الله. إنها خيانة للأب وللابن أن تكون في صداقة وود مع العالم، وتضع يدك

في يد هذا النظام الفاسد الذي تلطّخت يده بجريمة صلب ابن الله.

ثم أنا نفسي قد صُلِّبْتُ للعالم ولم أُعَد من خاصته. ^[1] فالصليب قد قطع العلاقة بيني وبين العالم. ^[2] والمسيحي الحقيقي، بارتباطه بالمسيح، قد صار في نظر العالم ميتاً. ^[3] ويريق العالم يمكن أن يجذب شخصاً حياً، ولكن ماذا يعمل لشخص قد مات. ^[4] والصليب يتضمن ما هو أكثر من الموت، حيث ظهرت هناك العداوة والشراسة نحو المسيح الذي نحبه وننتمي إليه. ^[5] هذا يكفي لأن يفصلنا عن العالم، ويُفقد كل جاذبية أو سيطرة علينا، وليتنا نقتنع بذلك فلا نعبأ بابتسامته ووعوده أو عبوسه ووعيده!

وعندما نلقي نظرة على ما يجري حولنا في الساحة الآن، سنرى أن العالم لم يختلف في سُمِّه وفساده ومعاييره المُختَلَّة عما كان من البدايات أو عما ظهر عند الصليب. ^[6] فالمكذب وتزييف الحقائق، والإرهاب باسم الدين، والتكثُّل والوقوف في صف الإرهاب، والدفاع عنه بكل قوة واستماتة، ودعمه، ومعاقبة كل من يرفع صوته معترضاً، وذلك لأجل المصالح الشخصية. ^[7] بينما لا يستاء هؤلاء ولما يتحرك لهم ساكن عندما يرون العنف والقتل والترويع والتعذيب وحرق الكنائس والممتلكات العامة والمخاصة واغتصاب الحقوق! ^[8] فلم تُعَد المبادئ تُحترم حتى عند أعظم الدول في العالم. ^[9] ورغم الحقائق الواضحة كالشمس، فإنه يخفى عليهم إرادتهم. ^[10] هذا هو العالم الذي يحكمه الشيطان ويسود عليه سلطان الظلمة. ^[11] وحقاً قال الكتاب: «إن رأيت ظُلُمَ الفقير ونَزَع الحق والعدل في البلاد، فلا تَرْتَعْ من الأمر، لأن فوق العالي عالياً يُلاحِظ، والأعلى فوقهما» (جامعة 5: 8). ^[12] إننا نتطلع إلى "العالم العتيد" الذي يسود فيه البر والسلام عندما يملك المسيح على كل الأرض.

بقلم: محب نصيف